

المبدع الاسباني ماكس أوب، شاهد على العصر

The Spanish creator Max Aub, witness of his epoch

تاريخ الاستلام : 2021/07/10 ؛ تاريخ القبول : 2021/11/08

ملخص

يهدف هذا المقال إلى إبراز قيمة ومكانة أحد أشهر، وأهم مبدعي القرن العشرين. يتعلق الأمر بالمبدع Max Aub الذي تناول في إنتاجاته مختلف الأجناس الأدبية وأبدع فيها أيما إبداع. كما أنه يعتبر نموذجا للمتقف الملتزم بقضايا عصره، حيث واكب جل الأحداث التاريخية المفصلية التي شهدتها القرن العشرين. لذلك، يتمحور هذا البحث حول إظهار بعض الجوانب المهمة من إبداعاته التي تجمع بين القدرة الفنية الفائقة، والالتزام الأخلاقي والسياسي مع القضايا العادلة للإنسان المقهور بغض النظر عن جنسيته وعرقه ومذهبه. وفي هذا الإطار، سنحاول التطرق لكل هذه الجوانب انطلاقا من بعض روايته من قبيل "شارع بال بيردي" (1961) و"النوايا الحسنة" (1954)، بالإضافة إلى "لويس ألباريت بترينيا" (1934).

المبتغى الأساس من وراء إنجاز هذا المقال، يكمن في تعريف القارئ العربي بمتقف عضوي من هذا الطراز الرفيع بتعبير غرامشي، الذي ما أوجنا إلى أمثاله في هذا الظرف العصيب الذي يجتازه العالم العربي.

الكلمات المفتاحية: ماكس أوب، الإبداع، المعاناة، المجتمع، قضايا، الرواية.

ادريس الشعيبي

الجامعة الاورومتوسطية، طريق سدي
حرازم، فاس شور، فاس، المغرب.

Abstract

This article aims to highlight the value and prestige of one of the most famous, and most important, creators of the twentieth century. It is the illustrious and prolific creator Max Aub, who cultivated almost all literary genres with a huge mastery. It is also regarded as the paradigm of the true intellectual whose greatest interest lies in ethical commitment and, above all, the defence of noble humanitarian causes.

This research is centered on demonstrating some important aspects of his creations that combine great artistic ability, moral and political commitment to just causes of the oppressed human, regardless of nationality, race and creed. In this context, we will try to address all these aspects from some of his novels, such as " Valverde Street" (1961) and "Good Intentions" (1954), as well as " Luis Álvarez Petreña " (1934).

The principal purpose of this essay is to present to the Arab reader an important intellectual with a specific style, who we need in this difficult situation in which lives the Arab world.

Keywords: Max Aub, creation, suffering, society, matters, novel.

Résumé

Cet article a comme objectif mettre en relief la valeur et le statut de l'un des créateurs les plus célèbres et les plus importants du XXe siècle. Il s'agit du romancier Max Aub, qui a cultivé plusieurs genres littéraires et y a excélé dans ses productions. Il est également considéré comme un modèle d'intellectuel engagé avec les problèmes de son temps, car il a suivi le rythme de la plupart des événements historiques articulés du XXe siècle. Par conséquent, cette recherche s'articule autour de montrer certains aspects importants de ses créations qui combinent une capacité artistique supérieure, un engagement moral et politique avec les justes causes de l'être humain opprimé, indépendamment de sa nationalité, sa race et sa secte. Dans ce contexte, nous essayons d'aborder tous ces aspects à partir de certains de ses romans, tels que "La calle de Valverde" (1961) et "Las buenas intenciones" (1954), en plus de "Luis Álvarez Petreña " (1934).

L'objectif principal derrière l'achèvement de cet article est de présenter au lecteur arabe un intellectuel organique de calibre, dont nous avons besoin dans cette circonstance difficile que traverse le monde arabe.

Mots clés : Max Aub, créativité, souffrance, société, enjeux, roman.

* Corresponding author, e-mail: drissechchoayeby@gmail.com

I - مقدمة

يعتبر القرن العشرين مرحلة تاريخية تخللتها العديد من الأحداث والوقائع المفصلية التي أرخت بضلالها على تاريخ الإنسانية(1). ولعل المقاربة المتعددة الأبعاد لهذه الأحداث الجسام التي شهدتها العالم، وإسبانيا على الخصوص، قد تطرق إليها العديد من الباحثين والمبدعين والمفكرين، على سبيل المثال لا الحصر المبدع الأمريكي إيرنست هيمنغواي (Putnam, 2006) والروائي الفرنسي الشهير أندري مارلو (Vinals, 2006) والشاعر الشيلي الحاصل على جائزة نوبل بابلو نيرودا (Ossa Martínez, 2015) والشاعر البيروفي الكبير سيزار بايخو (Vallejo, 1987)، والمفكر الفرنسي الملتزم الشهير جون بول سارتر (Aragüés, 2020)، إلخ. ويعتبر الروائي الإسباني ماكس أوب أحد المبدعين الذين سطع نجمهم وتركوا بصمتهم في المقاربة الإبداعية لتلك الأحداث، بالإضافة إلى التزامه الأخلاقي والإنساني مع القضايا العادلة بغض النظر عن الدين والعرق والمذهب (Malgat, 2011). إذ أن رغم حداثة سنه مع مطلع القرن العشرين، فإن هذا الكاتب الإسباني كان قد انخرط فكرا وممارسة في أهم الأحداث الفارقة التي شهدتها العالم وإسبانيا آنذاك. بدءا بهزيمة إسبانيا في معركة أنوال، وأثرها العميق على المستوى السياسي، وما خلفته من ندوب في الذاكرة الجمعية للمجتمع الإسباني، ومرورا بالانقلاب العسكري الذي قام به الديكتاتور خوسي أنطونيو دي ريبيرا. فكانت هذه الأحداث مؤشرا على تكريس اندحار إسبانيا التي أصبحت دولة منهارة بعد أن كانت قوة عظمى يحسب لها ألف حساب (Fernández-Alfaro, 1997). استطاع المبدع ماكس أوب التقاط هذا الوضع المتردي بنفس إبداعي لا يضاهاى. وفي هذا النطاق، تعتبر روايته الرائعة "شارع بال بيردي" (1961) وثيقة تاريخية بامتياز لحقبة المستبد بيرمو دي ريبيرا، علاوة على جمالية السرد وروعة التقنيات الروائية التي أحسن توظيفها ماكس أوب. فهي بنية سردية متناسقة تؤشر نابغة من رحم التجربة والمعاناة، لذلك امتلك القدرة على استحضار الذاكرة في قلب فني منقطع النظير (Sánchez Zapatero, 2010, p. 69).

ومع مطلع ثلاثينيات القرن الماضي، تزامن انخراط ماكس أوب في الحزب العمال الاشتراكي مع هبة جماهيرية وضعت نهاية لحكم الديكتاتور السالف الذكر. إثر ذلك تم تنظيم انتخابات تشريعية نزيهة وشفافة لأول مرة في إسبانيا أسفرت عن فوز تحالف أحزاب اليسار وقيام الجمهورية الثانية الإسبانية. مما جعل الثلاثي المكون من "الجيش، الإقطاع والكنيسة" يتحسس خطرا داهما يهدد مصالحه المتركمة، وهو الذي ظل يتحكم في مقدرات الدولة لقرون عديدة. فكانت نتيجة تحالفهم قيام القادة الفاشيون، يتزعمهم الجنرال فرانكو، للجيش الإسباني والذي كان متمركزا بالمنطقة الشمالية بالمغرب التي كانت تقبع تحت نير الحماية الإسبانية، بانقلاب مما أدى إلى حرب أهلية طاحنة دامت ثلاث سنوات دمرت إسبانيا وانتهت بانتصار الطغمة الفاشية الفرنكاوية.

تجدر الإشارة إلى أنه رغم انخراط ماكس أوب في صفوف الحزب العمالي الاشتراكي الإسباني، فإنه ظل متشبثا بنقد الدائم للحزب وعدم التماهي مع توجيهات قادته (Malgat, 2007, p. 86). هذا الموقف يعبر بجلاء عن التزام ماكس أوب الأخلاقي والنضالي، كمتقف عضوي ذي فكر حر (Miroslav Kotsev, 2014, p. 40). وبذلك، فإن إبداعاته الأدبية شاهدة عن دفاعه المستميت عن المستضعفين والمضطهدين، بغض النظر عن دينهم وعرقهم ومرجعياتهم الإيديولوجية. وخير مثال على ذلك هو انخراطه إلى جانب العديد من المثقفين الأسبان وأدباء كبار ذائعي الصيت من العالم، هبوا إلى إسبانيا لمساندة مقاومة الجمهورية الثانية لحافل الانقلابيين عبر تكوينهم كتائب عالمي "Brigadas internacionales"

(Claret, 2016, p. 72).

وفي هذا الإطار، تعتبر سداسيته تحت العنوان العام "المتاهة السحرية" أهم وأروع وأصدق ما كتب عن الحرب الأهلية الإسبانية. وهي بذلك مقارنة إبداعية فائقة الدقة لهذا الحدث الجلل. لكن انتصار الفاشيين في الحرب، اضطره رفقة الأغلبية العظمى من المثقفين الأسبان على مغادرة إسبانيا إلى أراضي اللجوء. وباعتباره يهودياً، تم اعتقاله خلال الحرب العالمية الثانية من طرف عميل النازية المريشال فيشي وإرساله إلى معسكر احتجاز جماعي في منطقة جلفة بالجزائر. حيث عانى الأمرين في ظروف شديدة القساوة مدة عامين (Eloías Aldás, 2001, p. 94). وقد خلد هذه المعاناة في رائعته "يوميات جلفة" (1944).

بناء على ما سبق، وجب التساؤل حول إرهابات تفتق العبقرية الإبداعية للكاتب ماكس أوب من خلال كشفه لتجاوزات قادة الانقلاب إبان الحرب الأهلية الإسبانية، وما تلتها من مضايقات على الحريات الجماعية والفردية بإسبانيا. كما نتساءل ونقول إلى أي حد استطاع المبدع الاسباني مقارنة كل هذا في قالب أدبي إبداعي رائع. ثم سوف نرى كيف أسهم نفيه إلى أرض المكسيك في تكريس ونضج الوعي والحس الثقافي لديه. لنختتم في الأخير بإلقاء نظرة خاطفة على كيفية تصويره المقطعي لكل معاناته والتزامه من خلال تقديم نماذج من أعماله التي تناولت معظمها مختلف أوجه الظلم الذي لحق الكاتب من قبيل تنقيله من طرف قوات النازية من مارسيليا الفرنسية إلى مركز الاحتجاز بجلفة بالأراضي الجزائرية، ثم انتقاله إلى المنفى الأخير بالمكسيك عبر المغرب.

1.1. الروائي ماكس أوب في قلب الأحداث المصيرية في القرن العشرين

إن فكرة الروائي الفرنسي المرموق ألبيير كامو والتي مفادها أنه إذا خلت الحياة من المعاناة، فلن يكون للإبداع موطأ قدم (Camus A., 1967, p. 70). هذه الفكرة أو التصور ينطبق إلى حد كبير على حالة الكاتب المتعدد الجنسيات ماكس أوب. حيث عايش معظم الأحداث المصيرية التي عرفها القرن العشرين، أثر فيها وتأثر بها وعبر عنها بطريقة مؤثرة وعميقة في العديد من أعماله الأدبية التي شملت معظم الأجناس الأدبية. في هذا السياق، تعتبر المآسي الذي مر بها الكاتب بحق الحافز للإنتاج العملية الإبداعية لديه، التي انصهرت فيها قضايا مجتمعه وما لحقه من ظلم وقهر.

1.1.1. إرهابات بزوغ نجم ماكس أوب كمبدع ومتقف ملتزم

من موالد فرنسا سنة 1903، من أم فرنسية و أب ألماني، يهودي العقيدة. اضطرت العائلة للهجرة إلى إسبانيا وماكس أوب طفل صبي، حيث استقرت بمدينة بلنسية، هناك تعلم اللغة الإسبانية التي أصبحت أداة إبداعه. ومنذ بلوغه سن الرابعة عشرة بدأت بوادر اهتمامه بالأدب والالتزام السياسي. وفي هذا الإطار، يقر ماكس أوب في رسالته إلى صديقه مانويل تونيون دي لارا ما يلي:

“El medio en que me formé va claramente de 1917 a 1931. En 1917 tenía catorce años. Alguna vez he contacto que una carga de la Guardia Civil a caballo - ¿o no lo he contado? – en la plaza Emilio Castelar, de Valencia, fue determinante. El atravesar – al día siguiente, creo – la calle de las Barcas, desierta bajo el signo de las terceloras, acabó de hacer de mi un

partidario decidido de los humildes”(2) (Max Aub, 1970, p.13).

ويتبين من خلال هذه الشهادة الوعي المبكر للروائي ماكس أوب، وهذا ما يفسر انخراطه طوال حياته في النضال من أجل القضايا العادلة والقيم الإنسانية النبيلة. وفي العشرينيات من عمره، شرع هذا الكاتب الكبير في كتابة ونشر إبداعاته التي شملت مختلف الأجناس الأدبية. وهكذا؛ بين سنة 1924 وسنة 1927 أصدر ماكس أوب مسرحيات تدخل في إطار ما يسمى بالمسرح التجريبي (Max Aub, 1970, p.14) مثل (1971) “El desconfiado prodigioso” أو “المرتاب العجيب”، (1960) “El celsoso y su enamorada” أو “الغيور وحبيبته”، و (1973) “Deseada. Espejo de avaricia” أو “المرغوب فيها. مرآة البخل”.

وكان دائم التردد على المقاهي الأدبية التي كانت تعج بها مدريد خلال عشرينيات القرن الماضي، مما مكنه من الاحتكاك بعباقرة الثقافة مثل لويس بونيل والشاعر العالمي فيديركو غارسيا لوركا وزميله الشاعر الكبير رفايل ألبيرتي (Max Aub, 1970, p.14). ومع فجر 1930، أبدع ماكس أوب رائعتيه (1933) “Fabula verde” أو “حكاية خرافية خضراء”. وخلال هذه العشرية اكتمل نضجه الذي يتبلور في إبداعات غاية في الروعة والإتقان، من قبيل “Luis Álvarez Petreña”، التي تم نشرها ببرشلونة سنة 1934، “Yo vivo” أو “أنا أحياء”، التي كتبها بين 1935 و 1936. وفي فترة حكم الجمهورية الثانية والحرب الأهلية الإسبانية، تولى ماكس أوب منصب الملحق الثقافي بسفارة إسبانيا في باريس، كما تبوأ منصب الكاتب العام للهيئة الوطنية للمسرح. وخلال نفس الفترة، ساهم مع صديقه الروائي الفرنسي الشهير أندري مالرو André Malraux في إنتاج الفيلم السينمائي المعنون ب (1945) “Sierra de Teruel” أو “السلسلة الجبلية لترويل” المستوحى من الرواية الرائعة (1937) “L’Espoir” أو “الأمل”. وانطلاقاً من سنة 1939، كل المصائب اجتمعت حول عنق ماكس أوب، وهكذا بعد هزيمة الفرنسيين أمام النازية سنة 1940 وبما أنه يهودي الديانة، تم الزج به في سجون مدينة مارسيليا و نيس وترحيله إلى مركز احتجاز جهنمي ببلدة جلفة الصحراوية بالجزائر، حيث قضى هناك ما يربو عن سنتين، تجرع فيها كل ألوان العذاب. وفي هذا الإطار، يثير صديقه مانويل تونيول دي لارا النفس الإبداعي لماكس أوب وهو يعاني أسوأ أنواع العذاب في أبعث المعتقلات:

“Dos años vive – sobrevive – allí Max Aub.
En trozos de papel, a escondidas de los guardianes, escribe sus poemas Diario de Djelfa, toma notas, traza esquemas... Y, como siempre habla con todos, penetra en las vidas y en las conciencias de grandes y pequeños” (3) (Max Aub, 1970, p.17).

2.1.I. مرحلة النضج الإبداعي عند ماكس أوب: المنفى طويل الأمد

بالمكسيك

كما سبقنا الإشارة إلى ذلك، وبعد أن تجرع كل أنواع العذاب في معسكر جلفة بالجزائر، تمكن ماكس، بحلول شهر شنتبر من سنة 1942، من الفرار من معسكر الاحتجاز بجلفة نحو مدينة الدار البيضاء بالمغرب ومنها إلى مرفأ بيراكروس بالمكسيك. حيث مكث هناك حتى وفاته سنة 1973. ويعتبر هذا المقام الطويل أغنى وأزهي مرحلة في نبوغه وإبداعاته. الشيء الذي جعله يتبوأ أعلى المراتب بين كبار

وأشهر مبدعي القرن العشرين. وهكذا، مع بداية تواجده بالمكسيك، شرع في نشر أروع ما كتب عن الحرب الأهلية الإسبانية في سلسلة روايات تحمل عنوان عام "El laberinto magico" أو "المتاهة السحرية". وهكذا؛ نشر في المكسيك، سنة 1943، أولى روايات هذه السلسلة المعنونة بـ "Campo cerrado" أو "حقل مغلق". ومباشرة بعد ذلك، قام بنشر ثاني روايات السلسلة، "Campo de sangre" أو "حقل الدم"، تلاها نشر رواية "Campo francés" أو "الحقل الفرنسي"، التي كانت موضوع سيناريو سينمائي. وأثناء هذه الفترة التي تميزت بالإبداع الروائي الغزير والثري والعالي الجودة، نشر كذلك مجموعات قصصية مثل "Historia de Jacobo" أو "تاريخ يعقوب". وانطلاقاً من هذه اللحظة التاريخية من حياة ماكس أوب، أصبح ذائع الصيت واسمه يقترن بوفرة وروعة الإنتاجات الفكرية والأدبية، حيث شملت إبداعه الرواية والمسرح والقصة القصيرة والنقد الأدبي والمقالة الأدبية. وفي هذا السياق، يصرح ماكس أوب بما يلي:

"No hice sino escribir, porque es lo único que me divierte" (Max Aub, 1966, p. 7).

حيث اعتبر أن كل ما يقوم به هو الكتابة، لأنها هي الشيء الوحيد الذي يروح به عن نفسه. وبالفعل، كل كتابته كانت تعبيراً صادقاً عن ما يختلج في قرارة نفسه، بما أنها نابعة من رحم المعاناة وحسه المرهف تجاه المستضعفين. علاوة على ذلك، انصب اهتمامه على النقد الأدبي، وهكذا قام بنشر سنة 1966 مؤلف يهتم بتاريخ الأدب الإسباني "Historia de la literatura española". وكذلك كتابه "Discurso sobre la novela española contemporánea" أو "خطاب حول الرواية الإسبانية المعاصرة"، بالإضافة إلى "La poesía española contemporánea" أو "الشعر الإسباني المعاصر". تجدر الإشارة إلى أن إبداعه ترجمت إلى العديد من اللغات مثل الفرنسية الإنجليزية، الألمانية، الإيطالية، العربية، إلخ.

II. تقديم وتحليل لبعض الأعمال الإبداعية المهمة للروائي ماكس أوب

كما سبقت الإشارة، يتميز المبدع ماكس أوب بغزارة ووفرة إنتاجه في أجناس عدة. ولهذا لا يمكن الإحاطة بكل إنتاجه في مقالة واحدة كهذه. لذلك ارتأينا أن نتطرق لنماذج من إبداعه الروائية والتي تعطينا دليلاً واضحاً عن أن ماكس أوب هو نموذج المثقف الملتزم والمبدع الكبير الذي عايش جل الأحداث المفصلية خلال القرن العشرين. وفي هذا السياق، الروايات التي سنتطرق إليها تدرج في ما يسمى بالرواية التاريخية، حيث نجد فيها توليفة غاية في الروعة لأحداث تاريخية عايشها الكاتب وشخص واقعية مع أخرى من نسج خياله. ولهذا تعتبر هذه الأعمال الروائية بمثابة وثائق تاريخية في قالب إبداعي مميز. يتعلق الأمر، إذن، برواية "زقاق بال بيردي" التي نشرها سنة 1961 ورواية "النوايا الحسنة" التي نشرها سنة 1954، بالإضافة إلى رواية "لويس ألباريس بترينيا" التي نشرت سنة 1971.

II.1. رواية "زقاق بال بيردي" أو "La calle de Valverde"

ففي روايته "La calle de Valverde" أو "شارع بالبيردي"، وهي رواية معبرة عن مدينة مدريد في الحقبة الممتدة من 1925 إلى 1928. أبطالها متعددو المشارب ويجسدون مختلف أطياف المجتمع المديريدي آنذاك. وهكذا، فأبطالها يتشكلون من مثقفين وصحفيين وطلبة وأفراد من عامة الشعب ومن الطبقة البرجوازية الصغيرة (Max Aub, 1970, p. 40). كما تتناول الرواية وقائع تاريخية بليغة الأثر في إسبانيا عشرينيات القرن الماضي، مثل نكسة أنوال بالنسبة للأسبان والانقلاب العسكري الذي مكن الديكتاتور خوسي أنطونيو دي ريبيرا من الاستيلاء على مقاليد الأمور. ويعتبر موجز أحداث الرواية بمثابة دليل واضح عن أهميتها التاريخية

والإبداعية. أحداثها تنطلق من منزل يحمل رقم اثنين وثلاثين بشارع فال بيردي المطل على واجهتين. الباب الأول يفضي إلى ساكنة مكونة من الطبقة الوسطى، بينما الباب الثاني يؤدي مباشرة إلى الساحة الشهيرة Gran Vía، التي تعتبر رمزا للتحديث في العاصمة الإسبانية بعماراتها وناطحات السحاب، ومقرات لشركات كبرى مثل تليفونيكًا. تتناول الرواية بشكل إبداعي رائع علاقات مختلف أطياف المجتمع التي تستوطن هذا الفضاء. وفي ذلك يكون المبدع ماكس أوب قد استحضر توجيه الكاتب الإسباني الكبير، الذي يمثل تيار الواقعية بإسبانيا القرن التاسع عشر، بينيتو بيرز غالدوس. حيث كان يقر دائما أن الروائي دائما ما يأخذ عن الفضاء الذي يستوطنه المادة الأولية لينتج نفس المكون في قالب إبداعي يتسم بالتماهي مع الواقع المعاش (Max Aub, 1967, p.173).

تتميز رواية فال بيردي بأبعادها المتعددة، وكثرة المواضيع والشخوص، وكل ذلك مصاغ بصنعة روائية غاية في الإتقان والروعة. وهكذا، نجد أن بنية الرواية تحتوي على عدة مستويات متداخلة:

يتمحور المستوى الأول حول شارع فال بيردي والمنزل والبوابة وثلاثة شخوص أساسية Marga وأبوها السيد Fidel وعمتها Feli. إذ دون الخروج من المنزل رقم 32، يجد القارئ نفسه في المستوى الثاني الذي يحكي قصة الرسام Miralles بمعوية زوجته وبنتيه Paquita و Isabel. في هذا السياق، يتعرف القارئ عن عالم الصحافة بمدينة مدريد وعلى رواد المقاهي الأدبية وعلى دور الضيافة، وذلك عن طريق الأشبيلي Manuel Cantueso، خطيب Paquita. وبقدرة عالية، يستطيع الكاتب ماكس أوب، في هذا المستوى، المزج بين الواقع التاريخي والواقع المتخيل من طرفه.

أما المستوى الثالث، فيختلف كثيرا ويمكننا تسميته "باكتشاف مدريد من طرف Victoriano Terraza، أحد الشخوص المتميزة في الرواية. هذا الشاب الذي ينتسب إلى مدينة بلنسية، الطموح أتى إلى مدريد وبحوزته رسائل توصية إلى مدير جريدة، عنوانها على الأرجح El Liberal.

ويمتاز المستوى الرابع بإعطاء الأولوية لما هو تاريخي مثل المحاولة الانقلابية الفاشلة ضد الجنرال خوسي بيريمو دي ريبيرا والمعروفة تاريخيا بسانخوانادا (4) أو Sanjuanada. ومن خلال تناوله هذه الأحداث التاريخية، يقدم الكاتب تحليل سيكولوجي لشخصيات تاريخية معروفة، مثل Fermín Galán و Antonio María Sbert. وبواسطة أحد شخوص الرواية Molina ذو الأصل الجبلي، نلج لمستوى هامشي من الرواية، ولكن ذو أهمية كبرى لأنه يمكن القارئ من التعرف على أوساط بورجوازية شمال إسبانيا، التي لعبت دورا غاية في الأهمية في إسبانيا منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر. يأتي أخيرا المستوى الخامس من الحكى الذي يعالج العلاقات الاجتماعية بين عدة شخوص في فضاء شارع فال بيردي، مثل العلاقات المتأزمة بين الزوجين Joaquín و Marga والخيانة الزوجية ل Gabriela و Molina، بالإضافة إلى فشل العلاقة الغرامية بين Cantueso و Paquita (Max Aub, 1970, p. 46).

جدير بالذكر أن هذا المستوى الخامس والأخير من الحكى يكتسي أهمية بالغة، من حيث التطرق إلى العلاقات الاجتماعية المتردية كما سبق الذكر، إضافة إلى التطرق إلى أحداث تاريخية وقعت في العاصمة الإسبانية آنذاك، من قبيل المنفى الاختياري للسياسي المعروف Sánchez Guerra، والتنام المؤتمر الوطني للحزب الاشتراكي العمالي الإسباني الذي تمخض عن رفض أي تشارك مع حكومة يرأسها الديكتاتور خوسي أنطونيو بريمو دي ريبيرا. من أبرز التقنيات التي استعملها ماكس أوب في روايته هذه، لجوؤه إلى تقنية الرسائل المتبادلة بين العديد من الشخوص. يتعلق الأمر بتقنية معروفة يستعملها كبار الروائيين بغرض إيصال

مجموعة من المضامين ذات أهمية قصوى، مثل التقنية التي اعتمدها الروائي الإسباني José Cadalso في عمله الرائع Cartas Marruecas أو "رسائل مغربية" الذي تم إصداره في القرن الثامن عشر سنة 1774. وهكذا، فإن رسائل الملم باللغة والثقافة الإسبانية، الشاب André Barillon، المتواجد في مدريد آنذاك وأحد شخوص الرواية، تعتبر من أروع مقاطع هذه الرواية. ففي إحدى الرسائل، يقوم بتمجيد دور الضيافة، وفي أخرى نجده يصف بدقة وإتقان متناهيين النقاشات المستفيضة التي كانت تستضيفها المقاهي الأدبية. ورسائله هذه كانت تحمل تواريخ إرسالها، ومكان كتابتها، مدريد 1926 و 1927.

تعود أهمية الرواية إلى نجاح ماكس أوب في رصد التفاعل بين الفضاء الاجتماعي والظرفية التاريخية، وخير دليل على ذلك تميز الرواية بإظهار الدقة في توقيت حدوث المعطى التاريخي مع الخوض في تفاصيل الحياة اليومية للمجتمع المديدي في تلك الحقبة. أما من ناحية التعبير اللغوي، فنجد الكاتب يعتمد عدة مستويات لغوية. ولعل لجوءه في بعض فصول الرواية إلى اللهجة العامية التي كانت تتكلم بها ساكنة مدريد في عشرينيات القرن الماضي ليعتبر من أهم الخصائص التي تميز الشكل التعبيري للكاتب. استعماله لهذا النمط التعبيري لم يكن وليد الصدفة، بل كان الهدف منه تبيان نوعية اللغة المستعملة من طرف مختلف أطياف المجتمع الإسباني بحاضرة مدريد آنذاك. ففي نقاشات الأدباء والمثقفين في المقاهي الأدبية، نجد أن اللغة المستعملة لغة أكاديمية عالمية. أما الشخوص المنتمون لعامة الشعب فيستعملون في الرواية مختلف اللهجات العامية المتداولة، وفي هذا الإطار يجب التنويه إلى حضور مستويات عدة من اللهجة العامية الإسبانية. السبب هو بما أن مدريد هي العاصمة، أي القطب الاقتصادي والثقافي للدولة، فإن عددا كبيرا من سكان مختلف مناطق إسبانيا يؤمنون للعيش فيها. لذلك نجد في الرواية تواجد مختلف لهجات التي يستعملها شخوص الرواية المنتمون إلى مختلف جهات هذا البلد (Max Aub, 1970, p.49).

2.II. رواية النوايا الحسنة أو "Las buenas intenciones"

تعتبر رواية "النوايا الحسنة" للكاتب ماكس أوب امتدادا لإرث أشهر وأكبر روائي إسبانيا في القرن التاسع عشر بينتو بيرز غالدوس. وهذا ما يفسر إهداء الرواية إلى ممثل الواقعية بإسبانيا القرن التاسع عشر من طرف ماكس أوب. قام بكتابة هذه الرواية في ربيع سنة 1953، ونشرها سنة بعد ذلك. إنها رواية شخص كان يعتبر النية الحسنة هي الوسيلة للنجاح في الحياة. بطل الرواية هو Agustín Alfaro الابن الوحيد في عائلته. كان هذا البطل ضحية لقناعته بأن النية الحسنة هي قدره وسبيل سعادته، إلى أن تسبب له ذلك في الفاجعة. وكما يقول المثل فلطالما كان طريق جهنم معبدا بالنية الحسنة (Max Aub, 1970, p.52).

ليس من قبيل المبالغة التأكيد على أن رواية "النوايا الحسنة"، بما تحمله من سخرية مريرة، تعتبر عبرة وتنبيه لكل أولئك الذي يعتقدون بأن عدم الالتزام هو الحل الصائب في الحياة. وهذا كان السبب الرئيسي لمأساة الشخصية Agustín Alfaro، بحيث أنه تخلى بذلك عن حريته الشخصية وجعل الآخرين يلتزمون عوضه، وبالتالي يقررن مصيره. ومن تم قام بربط مصيره بأبيه وعائلة Angelita الذين أجبروه على الذهاب إلى مدينة Alicante، بينما هو كان يفضل السفر إلى Ibiza بجزر البليار. كانت حياته كما مقتله مشروطتين بنوعية طبعه المتميز بغياب القدرة على اتخاذ القرارات. كان Agustín شخصا خجولا جدا وضحية لتربية قوامها نسق فكري يعتبر أن الطفل النموذجي هو الذي يتميز بالنوايا الحسنة ولا يقوم بأي شيء. وبسبب تلك التربية كانت حياته عبارة عن سلسلة من الانكسارات والإحباطات، مثل فقدانه عشيقته التي كانت الوحيدة القادرة على إنقاذه.

من جهة أخرى، فإن هذه الرواية الرائعة تعبر عن عدة فئات اجتماعية، حيث نجد البقالة والتجار عديمي الضمير، بالإضافة إلى حثالة ورعاع المجتمع. علاوة على مستوى الرداءة والانحطاط الذي يميز أطراف مهمشة من المجتمع. تمتاز رواية "النوايا الحسنة" ببنية درامية متقنة التي لا بد من الإشارة إليها. ففي الفصلين الأولين يتم طرح الإشكالية التي تقودنا مباشرة إلى عقدة القضية، التي تتألف من الجزء الأول الذي يمتد جغرافيا بين حاضرة مدريد وزاركوزا. بعد ذلك، يأتي الجزء الثاني الذي يتصادف مع تواجد Remedios بمدينة برشلونة، يتم التطرق فيه إلى قصة شخصية Tula ولقاء الذي جرى بين المرأتين. أما الجزء الثالث فيختصر في معادلة Agustín – Angelita و الجزء الرابع يتعلق بالحرب وبمدينة مدريد التي لازالت ترزح تحت وطأة المأساة. الخاتمة والتي هي عبارة عن حل لعقدة القضية بطريقة غاية في الإتقان والروعة من طرف المبدع ماكس أوب. ويتجلى حل هذه العقدة في مقتل Agustín بدون سبب، اللهم أنه لم يكن على وعي بما يجري. وفي الواقع، مأساة هذا الشاب ترجع أولا وأخيرا إلى تشبثه بالنوايا الحسنة كسبيل وحيد للعيش. وعلى خلاف ذلك، فإن أباه السيد Alfaro María José، كما يتبين في آخر الرواية، يوجد على طرف نقيض من ابنه، نظرا لفضائه وميولاته الشريرة (Max Aub, 1970, p.56).

3.II. رواية لويس ألباريس بترينيا أو "Luis Álvarez Petreña"

تعتبر رواية لويس ألباريس بترينيا أول الأعمال التي كتبها ماكس أوب، حيث قام بنشرها سنة 1934. تتميز هذه الرواية بكونها رسائلية وتتضمن تحليلا عميقا لنفسية البطل لويس ألباريس بترينيا (Max Aub, 1970, p.62). وهكذا؛ فإن لويس ألباريس بترينيا كان همه أن يكتب ويحب. لكنه لم يجد نفسه في أي منهما. إنه الشخص الذي يعاني وسط أزمة خانقة في ظروف تاريخية صعبة للغاية أدت به إلى وضع حد لحياته. هذا المآل المأساوي يتعارض مع رباطة الجأش، والقدرة على مجابهة الصعاب لكاتب الرواية ماكس أوب. يتعلق الأمر بنهاية تراجيدية لبطل الرواية التي تجعل القارئ يقارن بين الهشاشة النفسية للشخص المحوري في الرواية والصبر على المعاناة لكاتبها. وكان ماكس أوب يريد أن يوحى لقرائه بأن الصبر والثبات على المواقف في أحلك الظروف كما عاشها هو، هي أرقى وأنبى سمات النضال، على خلاف بطل الرواية الذي انهار ولم يستطع مواجهة ظروف صعبة كما الحال بالنسبة للكاتب. ولإيضاح هذه الفكرة الأساسية في هذه الرواية، وجبت الإشارة إلى عزلة لويس ألباريس بترينيا وسببها، ليس راجعا كما يتبادر للذهن إلى الإحباط، ولكن إلى انعدام أي أفق للكتابة في إسبانيا، كما يتبين من خلال كلامه هذا:

“El ser escritor hoy en España es una continua desesperanza” (Max Aub, 1970, p.63).

أي أن فعل الكتابة في إسبانيا الراهنة يعتبر بمثابة خيبة أمل مستمرة. إن انتحاره لا يرجع إلى مشاكل غرامية مع حبيبته Laura، حيث إن علاقتهما لم تكن تعترها مشاكل، وإنما إلى الإحباط الذي أصابه نظرا لقناعته أن الإبداع الأدبي لا قيمة له في إسبانيا.

فاجعة لويس ألباريس بترينيا لا يجب أن تدفع القارئ إلى الاستنتاج بأنها رواية رومانسية وعاطفية. يجب فهمها على النقيض من ذلك تماما. ذلك أن توالي الصفحات تجعل القارئ يتابع أول بأول وقائع الأزمة النفسية وهول المأساة التي أصابت بطل الرواية، عندما اختار وضع حد لحياته بلجونه إلى الانتحار. والغرض من ذلك هو أن الكاتب يريد إيصال فكرة مفادها أن اختيار لويس ألباريس بترينيا لهذا المصير المحتوم كان خطأ فظيحا.

قراءة هذا العمل الإبداعي الأول لماكس أوب ضرورية جدا لفهم واستيعاب الكم الهائل والرائع لإبداعاته على امتداد كل مراحل حياته. ورغم أن رواية لويس أباريخ بترينيا تعتبر أولى باكورات أعماله الأدبية، فإن مستواها الفني يوازي الأعمال الإبداعية الأدبية ذات الشهرة الواسعة آنئذ.

لقد أبدع ماكس أوب هذه الرواية سنة 1934، أي خلال حكم الجمهورية الثانية بإسبانيا الذي كان من أبرز داعميها. خلال سنة 1934، قام التحالف اليساري الذي كان يشكل هذه الحكومة التقدمية بإصدار قانون الإصلاح الزراعي. حيث شكل هذا القانون ثورة اجتماعية وسياسية كبيرة جدا، لأنه كان يتوخى القطيعة مع أشجع استغلال تعرض له العالم القروي في إسبانيا على مدى قرون. إذ كان تحالف الإقطاع والكنيسة بالإضافة إلى الطغمة العسكرية يستولي على كل مقدرات البلاد الفلاحية. شكل هذا الحدث التاريخي الشرارة التي جعلت هذا التحالف يشرع في التهييء للانقضاض على الحكم بواسطة انقلاب عسكري ضد الحكومة الشرعية للجمهورية الثانية. وهذا ما وقع خلال الحرب الأهلية.

في رواية لويس أباريخ بترينيا التي يصادف نشرها إعلان قانون الإصلاح الزراعي يستشرف الكاتب ماكس أوب مخططات الحلف المناوئ للجمهورية الثانية، عبر رفضه للخنوع والإحباط لشرائح من المجتمع الإسباني والتي يرمز إليها بطل الرواية أباريخ بترينيا.

ولعل التضاد بين القدرة الفائقة على التحمل التي يتميز بها الكاتب والانهايار السريع لأحد شخوص روايته، وفي هذه الحالة لويس أباريخ بترينيا، يبين بما لا يدع مجال للشك أن طريق الالتزام باللحظة التاريخية يتطلب مقاومة الصعاب وعدم الاستسلام. إن هذه الخلاصة تبرز بجلاء أهم ثابت بنيوي في كل إبداعات ماكس أوب، وكذلك في التزامه بالقضايا العادلة. ولهذا، بما أن رواية لويس أباريخ بترينيا هي أولى إنتاجاته الإبداعية الغزيرة، فهي خير شاهد على نضج الكاتب ووعيه بقضايا عصره منذ حداثة سنه. وهكذا فماكس أوب بقي طوال حياته وفيها لمبادئه والتزامه، علاوة على علو كعبه في التطرق إلى جل الأجناس الأدبية من رواية ومسرح وقصة قصيرة وشعر وكتابة السيناريوهات السينمائية والفنون التشكيلية.

لكل ذلك يعتبر ماكس أوب بحق من أهم المبدعين والمثقفين الذين أثروا وتأثروا بكل حدث جلل وقع في القرن العشرين. من الحرب العالمية الأولى التي أثرت أحداثها في تكوينه وهو يافع صغير السن، إلى المخاض العسير الذي عاشته إسبانيا في عشرينيات القرن الماضي. وكانت قمة عطائه في مجال الفكر والممارسة السياسية لخدمة القضايا العادلة إبان الحرب الأهلية الإسبانية ومقاومته الطغمة الفاشية بزعامة فرنسيسكو فرانكو.

III. الخاتمة:

ختاما، وأخذا بعين الاعتبار الثقل والمكانة المتميزة التي استطاع ماكس أوب أن يتبوأها بين كتاب ومبدعي القرن العشرين، فإننا نؤكد أن الساحة الثقافية العربية هي بحاجة للتعرف على مبدع من طراز ماكس أوب، الذي يعتبر نموذجا للمثقف الملتزم بقضايا عصره. إن حياته الشخصية المليئة بالمعاناة والأحداث الجسام، والتي كان سببها الأساسي الانخراط في دفاعه المستميت عن القضايا العادلة التي تهم الإنسانية جمعاء، يجب أن تكون مصدر إلهام لكل كاتب يريد أن يكون صوتا معبرا يعكس الواقع الذي يحياه. كما أن إبداعاته الغزيرة التي توائم بين المستوى الفني الرفيع والقناعات المبدئية التي لم يحد عنها يوما، تجعل منه مثالا يحتدى، خاصة في عالمنا العربي الراهن الذي تواجهه تحديات مصيرية. ولهذا نؤكد مرة أخرى أن نموذج

ماكس أوب، كمتقف عضوي وكمبدع ملتزم، يجب أن يحدو حدوه المثقفون العرب في هذا الظرف العصيب الذي يمر به العالم العربي.

وفي نظرنا من أهم الخلاصات التي يمكن استنباطها من هذه المقالة هي أن المثقف لا يجب أن ينغزل في برجه العاجي أو يتوارى إلى الخلف، بل عليه واجب الالتزام بهذه اللحظة التاريخية المأساوية. إن الأهمية القصوى لماكس أوب كنموذج تكمن أيضا في تجاوزه ومعالجته للمعضلات العرقية والمذهبية التي يعاني منها عالمنا اليوم عموما، والبلاد العربية خصوصا. وفي هذا الإطار، فإن ماكس أوب، اليهودي الديانة والمتعدد الجنسيات، كان الإنسان هو همه الأول بغض النظر عن ديانته أو منشئه أو عرقه.

من جهة أخرى، فإن قدرته الإستشراافية التي لا تضاهى تعتبر منارة، لأي مثقف همه الالتزام بالقضايا الإنسانية. فعل سبيل المثال، خلال حكم الجمهورية الثانية، كان ماكس أوب يدافع بشراسة عن قيم اليسار التي كان يشاركها مع تحالف اليسار الجمهوري، ولكنه كان ينتقد منطق الحزب والولاء للزعيم. بحيث أن المثقف بالنسبة إليه يجب أن يكون حرا في فكره وعصيا عن الانصياع للتوجيهات المفروضة من قادة الأحزاب اليسارية. وكان ماكس أوب، وهو أحد رواد هذا الموقف الصائب، ممن تنبؤا بتجاوزات وأخطاء هذه الأحزاب التي يتقاسم معها القيم اليسارية، ولكنه كان دائم الرفض لتدجين مناضليها، وخاصة المثقفين منهم.

وصفوة القول، يمكن الجزم بأن ماكس أوب يعتبر نموذج المثقف الشاهد والفاعل في عصره، أي القرن العشرين، المليء بالأحداث الجسام. ولعل الأعمال الإبداعية التي سبق وأن أشرنا إليها في هذه المقالة لتعتبر جزء من كم هائل من إنتاجاته التي كرسنا وأبرزت مواقفه ونضالاته.

الملاحق:

(1)- بدأ بالحرب العالمية الأولى، مرورا بحدث الانقلاب العسكري الذي قاده الديكتاتور خوسي أنطونيو بريمو دي ريبيرا والحرب الأهلية الإسبانية الطاحنة التي دامت ثلاث سنوات وخلفت مئات الآلاف من القتلى، وصولا إلى الحرب العالمية الثانية التي كان من ضحاياها حيث اعتقل من طرف عملاء النازية بفرنسا وعانى الأمرين، بعد ترحيله إلى معسكر الاحتجاز بجلفة بالجزائر. بالإضافة إلى النكبة العربية، حرب ستة أيام الموافقة ل5 يونيو 1967، حيث احتلت إسرائيل القدس الشرقية والضفة الغربية وشبه جزيرة سيناء. لذلك خصص لهذا الحدث، كتابه "يوميات سيناء"، حيث عالج فيه معاناة وآمال الجنود الشباب المصريين قبل وبعد النكسة.

(2)- "يعود تكويني إلى الفترة الممتدة من 1917 إلى 1931. في سنة 1917 كان عمري أربعة عشرة سنة. في إحدى المرات تعرضت للضرب من طرف الحرس المدني الذين كانوا يمتطون صهوة الخيول. في ساحة إمبليوا كاسطيلار بمدينة بلنسية، وكان لهذا الحدث أثر كبير على حياتي وجعلتني منذئذ مناصرا للمستضعفين".

(3)- "هناك بجلفة ولمدة سنتين عانى الأمرين من أجل البقاء على قيد الحياة. ورغم معاناته هذه، كان يتناول خفية قطعا من الورق يسجل فيها ملاحظاته وارتساماته والتي أثمرت ديوانه "يوميات جلفة". وكما هي عادته يتجاذب أطراف الحديث مع الجميع حيث يتسلل إلى أفئدة وضمائر الصغار كما الكبار".

(4)- يعرف انقلاب سنة 1926 في إسبانيا أيضا باسم سانجوانادا لأنه كان من المقرر إجراؤه ليلة 24 يونيو، ليلة سان خوان، انقلابا فشل في محاولته لإنهاء دكتاتورية بريمو دي ريبيرا، التي تأسست في إسبانيا عن طريق انقلاب آخر في سبتمبر 1923. هذه كانت أول محاولة انقلابية ضد الديكتاتورية.

المراجع

Aldás Nos, Eloías (2001). El testimonio literario de Max Aub sobre los campos de concentración en Francia (1940 – 1942). Castellón: Universidad Jaume I.

Aragüés Estragués, Juan Manuel (2020). Sartre y la guerra civil española. Recuperado de: <https://www.elsaltodiario.com/el-rumor-de-las-multitudes/sartre-y-la-guerra-civil-espanola>.

Camus, Albert (1967). El mito de Sísifo. Buenos Aires: Losada

Claret, Jaume (2016). Breve historia de las Brigadas Internacionales. Madrid: Catarata.

Fernández-Alfaro, Pablo La Porte (1997). El desastre de Annual y la crisis de la Restauración en España (1921-1923). Madrid: Universidad Complutense de Madrid

Malgat, Gérard (2007). Max Aub y Francia o la esperanza traicionada. Segorbe: Editorial Renacimiento.

Malgat, Gérard (2011). Las obras testimoniales de Max Aub sobre la guerra de España: las difíciles memorias de la derrota y del exilio. AMNIS. Doi: <https://doi.org/10.4000/amnis.1514>.

Malraux, André (1937). L'espoir. Paris: Gallimard.

Max, Aub (1944). Diario de Djelfa. Valencia: Denes.

Max, Aub (1966). Mis páginas mejores. Madrid: Gredos

Max, Aub (1967). Pruebas. Madrid: Ciencia Nueva.

Max, Aub (1970). Buenas intenciones. México: Aguilar.

Max, Aub (1970). Fabula verde. México: Aguilar.

Max, Aub (1970). La calle de Valverde. México: Aguilar.

Max, Aub (1970). Luis Álvarez Petreña. México: Aguilar.

Max, Aub (1970). Novelas escondidas. México: Aguilar.

Max, Aub (1970). Yo vivo. México: Aguilar.

Ossa Martínez, Marco Antonio (2015). Pablo Neruda Y La Guerra Civil Española: Vivencias, Relaciones, Exilio Y Esperanza. ArtsEduca , (10), (72 – 95).

Putnam, Thomas (2006). Hemingway sobre la guerra y sus secuelas. National Archives, 28 (1). Recibido de: <https://www.archives.gov/espanol/prologue/hemingway>.

Sánchez Zapatero, Javier (2010). Escribir el horror, literatura y campos de concentración. Madrid: Editorial Montesinos.

Traychov Kotsev, Miroslav (2014). Aproximaciones a la literatura concentracionaria de Max Aub: Vernet, 1940; El limpiabotas del Padre Eterno y El cementerio de Djelfa. Valencia: Universidad de Valencia.

Vallejo, César (1987). Poemas Humanos: España, aparta de mí este cáliz. Madrid: Editorial Castalia.

Vinals, Carole (2006). André Malraux y Max Aub: dos visiones de la guerra civil española. En Bruña Cuevas, Manuel y alt. La cultura del otro: español en Francia, francés en España (745 – 754), Universidad de Sevilla.